القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية للحوار في القصص القرآني

الاستاذ الدكتور
خميس غربي حسين
جامعة تكريت ـ كلية الآداب

Human and ethical values and principles of dialogue in Quranic stories

Prof. Dr
Khamis Gharbi Hussein
Tikrit University - College of Arts

الملخص:-

أصبحت قضية الحوار مطلباً مهماً في عالم اليوم ، وهي ضرورة من ضرورات العصر ، فليس هناك استقرار وتطور وتواصل بين أبناء المجتمع ، والمجتمعات الأخرى بدون وجود للغة الحوار والتفاهم ، ومتى كان الحوار هو الوسيلة للتواصل ازدهرت الحياة وتطور المجتمع وأصبح الناس يعيشون حياة أساسها الأخوة وبناؤها المحبة ، وهذا كله بالتأكيد يفضي إلى السلام والتنمية والبناء والتطوير .

الكلمات المفتاحية: القيم , الانسان , القصص.

Abstract:-

The issue of dialogue has become an important demand in today's world, and it is one of the necessities of the age. There is no stability, development, and communication between members of society and other societies without the existence of the language of dialogue and understanding. All of this certainly leads to peace, development, construction and development.

Keyword: Values, people, stories

الملخص

أصبحت قضية الحوار مطلباً مهماً في عالم اليوم ، وهي ضرورة من ضرورات العصر ، فليس هناك استقرار وتطور وتواصل بين أبناء المجتمع ، والمجتمعات الأخرى بدون وجود للغة الحوار والتفاهم ، ومتى كان الحوار هو الوسيلة للتواصل ازدهرت الحياة وتطور المجتمع وأصبح الناس يعيشون حياة أساسها الأخوة وبناؤها المحبة ، وهذا كله بالتأكيد يفضي إلى السلام والتنمية والبناء والتطوير .

والعكس من ذلك إذا ابتعد أفراد المجتمع والمجتمعات عن لغة الحوار وبدلوها بالبغضاء والعنف ، فالنتيجة ستكون حتماً الفرقة والتناحر والتقاتل ، وعند ذلك يخسر الأفراد والجماعات ففي الحرب ، عادةً ، الجميع خاسر ، ولأن الحوار عكس التعصب الأعمى ، لأن الثاني لا يلتفت إلى الحق الصواب من حيث أتى ، بل يؤدي إلى نقص المعلومات عن الآخر ، وهذا الإشكالية تسبب سوء الفهم ، كما تؤدي إلى الانغلاق والتحجر على رأي قد يعتقد صاحبه أنه على صواب ، فتبدأ الخطوات الأولى نحو الدمار الذي من أسبابه ندرة الحوار أو عدمه ،

ولأن الإسلام يربي الإنسان على السلام ونشر لغة الأمن والتقارب والألفة ونبذ العنف ، لذلك نجد آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (ﷺ) ، فضلاً عن أقوال العلماء والفقهاء المسلمين ، هذه المنابع الثرة جميعاً حافلة بالدعوة إلى الحوار والتفاهم ، من أجل نشر السلام بين الناس ، وعلى هذا المنوال أصبح الحوار ضرورة عصرية ، لا سيما في الوقت الراهن الذي أصبح العالم في صراعات مستمرة تزهق فيها الأنفس البريئة ، وتؤدي إلى خسائر مادية ، وتخلف آثار اجتماعية على أفراد المجتمع الإنساني جميعاً .

تأتي هذه الدراسة لتكشف عن المعالم الإنسانية والأخلاقية , والدعوة إلى الالتزام والتبصر بها في عصر ابتعد أفراد المجتمعات على نحو عام , والمسلمة خاصة عن التفكر والتبصر والحوار, بل أخذت موجة التقريب طريقها في الهجوم على العالم الإسلامي لإلغاء مظاهر الشخصية الإنسانية عند أبنائه وصياغتها من جديد لتتناسب مع مظاهر العولمة والعالم الجديد الذي يبشر به الغرب .

إن القصة هي إحدى الأساليب التي استعملها القرآن الكريم وفي مواضع كثيرة لأهداف ودوافع متعددة , لأن الأسلوب القصصي مشوق ومؤثر وهو أسلوب لإصلاح

الناس وتوضيح العبرة لهم , وهي إحدى الأساليب المشوقة والمؤثرة لهداية الناس , وإصلاحهم , وتوضيح السبيل لهم .

والقصة في القرآن الكريم لها وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء الأدبي , قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [١] , ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بمميزات جعلت لها آثار نفسية إيجابية كبيرة , بعيدة المدى على مر الزمن , تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه , وتجديد عزيمته , وتوسيع تفكيره بحسب مقتضى القصة , والعبرة منها .

ولأن القرآن الكريم متميزاً في أساليب عرضه للأفكار والرؤى , فإن أسلوب سرد القصة في القرآن الكريم مختلفا ومتميزاً عن القصة الأدبية , بل كان لها غايات وأهداف من أهمها تربية الإنسان وتقديم النصح والإرشاد من أجل زرع القيم الإنسانية والأخلاقية , والمبادئ التي جل غايتها تحقيق إنسانية الإنسان .

والقصة ضرب من ضروب الأدب , يصغي إليها السمع , وتصبح عبرة في الأنفس , من هنا يمكن أن نعد الحوار في القصص القرآنية وسيلة دعوية وأسلوب لترسيخ القيم والمبادئ من أجل تعريف المتلقي بما يغيب عنه , أو يلتبس عليه .

تظهر الجوانب الإنسانية في العديد من قصص القرآن الكريم , وهذه الجوانب تبدأ بالدعوة إلى السلام , والحوار الهادئ البناء , وهي دعوة صادرة من الله , كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [٢] , والصورة الإنسانية في قصص القرآن الكريم واضحة من خلال دعوة الله ***(جل جلاله)*** إلى إتباع أسلوب الرفق واللين والجدال بالتي هي أحسن , قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [٣] , وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾ [٤] , والحكمة المراد بها هنا معرفة الحق والعمل به , لأن القلوب التي لها فهم وقصد تُدْعَى بالحكمة , فَيُبَين لها الحق علماً وعملاً فتبله وتعمل به , وآخرون لهم أهواء تصدعهم عن أتباعه , فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق , والترهيب من الباطل [٥] .

والحوار في المنظور الإسلامي يجب أن يكون هدفه إظهار الحق والاستعداد لتقبله عند ظهوره , وهذه الرغبة يجب أن تكون غاية الطرفين المتحاورين , لا أن تكون الغاية مجرد الظهور والغلبة , ولأن المسلم الصادق طالب حق , لأن الحق يقود إلى الصلاح وسكينة النفس واطمئنانها , والحوار المبني على سلوك الطريق المستقيم لا اعوجاج فيه ولا التواء يحول دون الانسياق وراء الهوى , سواء كان هوى النفس أو هوى الجمهور , والمسلم باحث عن الحقيقة , من هذا المنطلق يجب أن يكون الحوار بريئاً من التعصب , خالصاً لطلب الحق , خالياً من العنف والانفعال , بعيداً عما يفسد القلوب ويهيج النفوس[٦] .

والصورة الإنسانية في حوارات القرآن الكريم تتضمن العبادات التي فرضها الله تعالى على الناس , فنلحظ دعوة الناس بالرفق واللين والرحمة , فالتطرف مرفوض لأن المبالغة قد تؤدي إلى الضعف والوهن , قال تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[٧] . وكان حوار الله مع موسى (عليه السلام) يفصح عن الجوانب الإنسانية , قال تعالى : ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[٨] .

أما الجوانب الأخلاقية للحوار في قصص القرآن الكريم , فهي الأخرى فيها دعوة لأفراد المجتمع من أجل التمسك بكل ما يدعو إلى الآداب والأخلاق الفاضلة , ومن نماذج الدعوة لمثل هذا الحوار قصة أصحاب القرية في سورة يس , عندما أرسل إليهم النبي عيسى (عليه السلام) أثنين فكذبوهما فبعث بثالث , وخطاب هؤلاء كان يتميز بالجانب الأخلاقي المبني على الرفق والمودة والطمأنينة , قال تعالى :﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾[٩] , ولما جادلوهم كان طابع الجدال إنساني أخلاقي , من دون أن يميل إلى النزاع الخصام ((قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون , وما علينا إلا البلاغ المبين))[١٠].

من كل هذا يتضح , أن الحوار في القصص القرآني كان يتصف بالهدوء والسكنية والدعوة إلى معرفة الحق دون تعصب بجهالة , وهذا الأسلوب هو دعوة من الله تعالى لبني البشر للتمسك بالقيم الإنسانية والأخلاقية , وفي مجالات الحياة كافة .

إن المتتبع لأصول الفكر الإسلامي في منابعه التأسيسية القرآن الكريم والسنة النبوية , والفعل التراثي المتسق مع النص سيجد معالم مميزة لصورة الإنسان ومكانته في الرؤية الكلية , ومما يؤسف على حال المسلمين في الوقت الراهن , أن موقع الإنسان في منظومة القيم ,

مفارق للرؤية التي كثيرا ما نجدها في التطبيقات العملية للواقع الإسلامي سواء كان تنظيراً أو تفكيراً .

نأمل باختيارنا لهذا الموضوع المهم والحساس , لا سيما في الوقت الحاضر إذ كثرت الاتهامات والتوصيفات الخاطئة لروح الدين الإسلامي الحنيف حتى وصف بالعدوانية والكراهية والإجرام , وهي أعمال وأفعال يرفضها الإسلام بنصوصه , إلا أن ظهور فئة باغية تحت مسميات متعددة , من القاعدة , إلى داعش , وحركات هدامة تدعيّ أنها جهادية , وفي الحقيقة هي بعيدة عن منهج الإسلام الإنساني والأخلاقي , بل أنها حركات لها انتماءات مخابراتية غايتها تشويه صورة الإسلام دين الإنسانية والأخلاق الفاضلة .

وبما أن الدين الإسلام بما يتضمنه من دعوات إلى القيم الإنسانية والأخلاقية , ونبذ الكراهية والعنف , كان ولم يزل وسيلة للتغير نحو الأحسن , لذلك توجب علينا تناول الأشياء بمسمياتها الإنسانية والأخلاقية التي هي من صميم تعاليم هذا الدين , حتى نتمكن تدريجياً من تبديد غمامة الالتباس التي تغشى الرؤية الصحيحة للإسلام .

من هنا , سنسعى إلى تقسيم هذه الدراسة على مقدمة , وثلاثة مباحث , وخاتمة , تتضمن المقدمة استهلال للموضوع وبيان أهميته والأسباب التي دفعتنا لاختياره , اهتم المبحث الأول بدراسة الجوانب الإنسانية في الإسلام ودراسة المبادئ الأخلاقية التي تضمنها الدستور الإسلامي الحنيف , متمثلاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية , وخصصنا المبحث الثاني لدراسة القيم والمبادئ الإنسانية في قصص القرآن الكريم , وسنحاول من خلاله طرح التأكيد على ما تضمنته هذه القصص من جوانب إنسانية , أما المبحث الثالث والذي حمل عنوان الصورة الأخلاقية في القصص القرآني , وتطرقنا فيه إلى ما حوته هذه القصص من دعوة إلى مكارم الأخلاق وضرورة التمسك فيها .

المبحث الأول

إنسانية الإسلام والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

من المعلوم أن الإسلام ينظر إلى الناس جميعاً على أنهم متساوون أحرار خلقوا من أجل أعمار الأرض وخلافة الله عليها , وان خالقهم واحد , قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ

وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١١] .

والناس جميعاً في المجتمع المسلم محفوظة كرامتهم التي لا يجوز أن تلمز , ولا يسخر منها أحدٌ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١٢] , وقد لخص الأستاذ عبد الكريم الخطيب , هذه الرؤية الإسلامية للإنسان بقوله : ((وبهذا الصنيع اخرج الإسلام أروع إنسانية عرفتها الحياة , في كل جانب من جوانبها , وفي كل أفق من آفاقها , وبهذا الصنيع أقام الإسلام في سنوات قليلة مجتمعاً مترامي الأطراف , حراً كريماً , يحكمه العدل , وتسوده المحبة , وينظمه الأمن والسلام))[١٣] .

ولقد دلت الوقائع البشرية على ما للقصة من أثر عميق في التوجيه والتربية ، لأن خيال مستمع القصة أو قارئها يتابع الحوادث ويعايشها ، وينتقل معها من موقف إلى حوار إلى تصور إلى شعور فتستيقظ عواطفه ، وينفعل وجدانه كأنه جزء من القصة ، وتنتهي القصة ويبقى أثرها في النفس مستمرا .

والدارس للقصص القرآني يدرك الدور الفاعل الذي وظفته القصة في تربية العقيدة وتثبيتها ، إذ ليس الغاية من التربية سوى العواطف الصالحة ، ولا تصبح العواطف أساسا للخلق الكريم الإ إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة ،وهكذا تتعمق العقيدة والأخلاق والقيم الإسلامية في النفوس ، في الوقت الذي تتطهر فيه النفوس من المعتقدات والأخلاق والقيم الجاهلية الفاسدة ، وذلك من خلال القصص القرآني .

والإنسان , أي إنسان , في الفكر الإسلامي , له منزلة تجعله أفضل وأكرم المخلوقات جميعاً , لما أختصه الله تعالى من فضل وتكريم , يقول تعالى :﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[١٤], هذا التكريم من الله الذي اختص به الإنسان دون تحديد دينه أو مذهبه , يدعونا نحن المسلمين إلى مد جسور التواصل والتآلف والتعاون مع الآخر الذي سينتج عنه التعايش السلمي بين أبناء البشرية جمعاء .

من هذا المنطلق يمكن التأكيد على أن حوارات القرآن الكريم في مجمل قصصه كانت تؤكد على القيم الإنسانية والأخلاقية وتتجلى بأروع صورها , وهكذا نرى أن الإسلام ينظر إلى الجميع من منطلق إنساني , لذلك قرر مبدأ الوحدة الإنسانية قانوناً ثابتاً لا يتبدل[١٥] , وحسب التعبير القرآني , أن الناس أمة واحدة تعيش في أسرة إنسانية واحدة , وأن عرى هذه الوحدة تقوى وتضعف طبقاً لمدى إدراك هذه الأسرة لمقوماتها , أما التنوع والتفاوت بين الناس فيحصل في الاستعدادات والمواهب , وما يتعلق بهما تماشياً مع الاختلاف في القدرات لدى كل شخص[١٦] .

ولأن الإنسان في الفكر الإسلامي يحتل مكانة رفيعة عند الله ؛ قد خلقه في أحسن تقويم , وسخر له ما في السموات والأرض , قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾[١٧] , وبعد هذا كله , فإن تعاليم الإسلام جاءت من أجل رفعة الإنسان – أي إنسان – وإعلاء شأنه , فقد وظف النص الديني لتبيان قيمة الإنسان عند الله , في علاقة واضحة بين الشكل والمضمون , قال تعالى :﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[١٨] .

والإسلام يتجه نحو تحقيق إنسانية الإنسان دون النظر إلى جنسه أو لونه أو دينه , وتتجلى قيمة الإنسان في القران الكريم عندما يخاطبه الله تعالى (يأيها الإنسان) , إذ ينادي فيه أكرم ما في كيانه , وهو إنسانيته , التي تميز بها من سائر المخلوقات , فيرتفع بذلك إلى أكرم مكانة يتجلى فيها إكرام الله له وكرمه عليه[١٩] .

بهذا المنهج القويم تبنى شخصية الإنسان , وتبدأ برسم طريقها السوي القويم من توحيد الله إلى خشيته والتقرب إليه من خلال التودد لخلقه من البشر جميعاً , ومن ثم تبدأ الواجبات المناطة بهذا الإنسان , من محبة الناس والتفاعل معهم[٢٠] , وإعداد النفس وصونها لمواجهة كل ما يبعد الإنسان عن أخيه الإنسان , لأن الإسلام ((يستبقي في حس المسلم

شعوره بالإخوة الإنسانية , فيما يتعلق بالمشاعر والمعاملات الشخصية , والعدل والقسط والبر ببني آدم جميعاً , بل بالأحياء جميعاً))[٢١] .

وكما هو معلوم أن الدين الإسلامي ليس مجرد طقوس وعبادات فحسب , ولكنه دين تعامل بالحسنى , ومبادئ إنسانية وأخلاقية عظيمة وفكر وحضارة , ودعوة إلى تحقيق إنسانية الإنسان , وتاريخه يشهد على ذلك , لقد كان النبي محمد (ﷺ) يحفر ويعمق ويثبت الجذور من أجل تحقيق سعادة الإنسان والتي لا تأتي إلا بسيادة قيم الأخلاق والروح الإنسانية في إدارة الدولة .

والإسلام يرحب بالرأي الآخر والمعارضة , وحرية التعبير من أجل الوصول إلى الحق والصواب , وحل المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمع الإسلامي , وما علم الكلام والاختلاف في المذاهب والمناظرات والمجادلات الفكرية عند المسلمين , إلا دليل على ذلك[٢٢] .

ومن هنا وجب على الدارسين والفقهاء والباحثين , أن يعقدوا الصلة بين روح الإسلام التي تؤكد أهمية البناء النفسي للإنسان المسلم , وذلك تحقيقاً لإنسانية التعاليم الإسلامية , والنتيجة تكون بناء شخصية الفرد المسلم ذات الملامح الإنسانية والقيم الأخلاقية البعيدة عن الغلو والتطرف , اللذين يفضيان إلى وصف الإسلام بالعدوانية وبالإرهاب , والإسلام بروحه الحقيقة وتعاليمه السمحاء بعيداً كل البعد عن هذه الأوصاف , ونحن إذ أظهرنا القيم الإنسانية في الإسلام سوف نرد على المقولات التي يطلقها أعداءه , محاولين من ورائها زرع الكراهية تجاه الإسلام في نفوس عدد من المسلمين وغير المسلمين .

إن كون الإنسان في الإسلام يمثل قيمة عليا نابع من إنسانية هذا الدين وعالميته , فالرسول محمد رسول للبشرية جمعاء , قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[٢٣] , وقد كانت عالمية رسالة الإسلام قضية مسلم بها عند المسلم ولم يتطرق إليها أدنى شك أو تشكيك إلا في وقت متأخر , وذلك نتيجة قصور بعض أبناء هذه الأمة في فهمهم للإسلام وضعف انتسابهم له , هذا إلى جانب المحولات المغرضة التي تهدف إلى تشويه صورة الإسلام بل والقضاء عليه[٢٤] .

نزل القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة وإرشاد للناس أجمعين , قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[٢٥] , ذلك هو الإسلام في حساسيته المرهفة تجاه الإنسان وما فيه من رحمة وإنسانيته تجاه البشرية , والإسلام يجري في هذه الدعوة كعادته في تحقيق الطمأنينة والسلام والمحبة بين أفراد الأسرة الإنسانية , وهذا بطبيعة الحال , يفصح عن تصور إنساني وأخلاقي لمفهوم الحياة لجميع البشرية . لذلك كانت الدعوة القرآنية للناس جميعاً أن يتعاونوا على فعل الخير ويبتعدوا عن التناحر والخصومة والعدوان , وقد أسس القرآن الكريم الأسس والقواعد الحاكمة في هذا الموضوع , قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٢٦] .

والإسلام بما تنطوي عليه تعاليمه من نزعة إنسانية مقرونة بالسماحة وحب الخير للناس جميعاً, فهو عريق الإنسانية منذ نشأته ورفيع بنفخة الله فيه من روحه وهذه النفحة الإلهية في الإنسان جعلت روحه تهتدي دائماً إلى منشأها[٢٧] , يتجلى ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[٢٨] .

إن النزعة الإنسانية في الإسلام نحو الإنسان – أي إنسان – تبدأ منذ طفولته فهو يولد على فطرة واحدة , وهي موجودة كلها في الإنسان منذ ولادته , قال تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢٩] , وفي حديث الرسول محمد (ﷺ) ((كل مولود يولد على الفطرة , فأبواه يهودانه أو ينصرانه , أو يمجسانه))[٣٠] .

ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم في دعوته إلى الجوانب الإنسانية , لوجدنا أن الكثير من آياته تتحدث عن هذه الجوانب , وليس أدل على هذا إكثار القرآن الكريم من ترديد كلمة الإنسان , وبني آدم , والناس , والعالمين , والأنس , والعباد وغيرها من العبارات التي لا تخص المسلمين وحدهم بل البشرية جمعاء[٣١].

وليس من المبالغة القول , إن التشريعات التي نادى بها الإسلام من أجل تحقيق إنسانية الإنسان , لم يرقَ إليها أي من التشريعات السماوية السابقة علية , حتى القوانين الوضعية في

الوقت الحاضر , لأن الإسلام تعداها في تأكيد الجوانب الإنسانية , ورفع من شأن الإنسان من أجل تحقيق سعادته في الحياة الدنيا والآخرة .

المبحث الثاني

الصورة الإنسانية في القصص القرآني

وردت في القرآن الكريم العديد من القصص والتي كان لها أهداف وغايات , منها أشاعت القيم الإنسانية بين أفراد المجتمع ذلك أن القيم الإنسانية في الإسلام صالحة لكل زمان ومكان , لأنها ليست من صنع الإنسان ولذلك فهي باقية ما بقي الزمان , على اختلاف البيئات والعصور , وتظهر الجوانب الإنسانية في القرآن الكريم واضحة لا لبس فيها , قال تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٣٢] ولذلك يحق لنا القول : إن أبرز سمات القواعد الإنسانية في الإسلام هو ثباتها , وبالتالي فإن الالتزام بها هو قانون رباني يمثل المحور الذي تدور حوله جميع الأهداف والعبر في قصص القرآن الكريم , وإذ زالت فكرة الالتزام بهذه القيم قضي على الجوهر الإنساني لتعاليم الإسلام , ذلك انه إذا انعدم الالتزام انعدمت المسؤولية , ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه , ولهذا فإن الإسلام دين الإنسانية يحمل قواعد نظرية وعملية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه , وهذه هي غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين .

إن الإنسان والإنسانية مفردات ذات مدلولات مهمة في الإسلام , فقد جاء هذا الدين ليجعل من الجوانب الإنسانية قيمة عليا , ويرفع من الإنسان فوق جميع المخلوقات , بل جعله سيداً لها جميعاً .

وعبرت مفردة الإنسانية عن مدلولات فكرية ذات معانٍ ومدلولات عديدة , لأنها تتأثر بآراء ومفاهيم سياسية ودينية , إذ حاولت بعض الأيديولوجيات قديماً وحديثاً توظيف معنى الإنسانية لغايات وأهداف تخدم غايتها ورؤيتها للحياة السياسية , وأن التنظير لها لم يقتصر على أصحاب السلطة بل أسهم في هذه الغاية بعض الخطباء والشعراء والمفكرين .

ولو تأملنا تاريخ الإنسانية وجدناه حافل بالأحداث التي تبين على أن الإنسان ومنذ وجوده على الأرض بدأ يفكر بطريقة مشتركة , أي أن الإنسان وبطبيعة تركيبته النفسية كائن اجتماعي , وهذا ما نجده في قصص القرآن الكريم إذ أن في معظمها بيان لحالة الإنسان

الباحث عن المصلحة المشتركة من قاعدة تؤكد على أهمية التعارف والتعايش السلمي , مما أدى إلى نتائج إيجابية لهذا التعارف , ألا وهو تطور الفكر البشري وازدهار الحضارة وقيام الدولة[٣٣] , والسعي نحو التقدم , كل ذلك يندرج تحت مفهوم إنسانية الإنسان التي لا يمكن طمسها أو تجاهلها , وقصص القرآن الكريم دروس وعبر في هذا المعنى .

والدارس للقصص القرآني يدرك الدور الفاعل الذي وظفته القصة في إشاعة الروح الإنسانية والقيم الأخلاقية بين أفراد المجتمع ، إذ ليس الغاية من القصص كما يظن العواطف الصالحة ، وإنما كي تصبح هذه العواطف أساسا للتعامل الإنساني ، وهكذا تتعمق العقيدة والروح الإنسانية والقيم الإسلامية ، في الوقت الذي تتطهر فيه النفوس من المعتقدات والأخلاق والقيم الجاهلية الفاسدة ، وذلك من خلال القصص القرآني .

والروح الإنسانية في قصص القرآن تظهر من خلال ما نقل إلينا من آثار السابقين من الأنبياء والرسل , فضلاً أن هناك قصص في القرآن الكريم تشير إلى الديانات السابقة , فمثلاً تحدث القرآن الكريم عن قصة نبي الله آدم (عليه السلام) , وقصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وقصة يعقوب ويونس ويوسف وموسى والسيد المسيح (عليهم السلام)وفي ذلك عبرة وتوكيد للجانب الإنساني في هذه القصص , ولأن الدين الإسلامي يحث أتباعه على التعامل بروحٍ من المحبة والمودة والإنسانية مع غير المسلمين , وتاريخ المسلمين يشهد على التعامل بالحسنى مع غيرهم , فقد نعموا في ظل الإسلام بالرضاء والأمن والسلامة , وسار السلف الصالح على هذا الطريق[٣٤] .

إن الإسلام وحي الله إلى الإنسانية في كل العصور , على ما يرى قسم من الباحثين المحدثين[٣٥] , ويورد هؤلاء الباحثون أدلة لتأييد هذا الرأي , وهو أن الإسلام الذي يظهر في القرآن الكريم (هو الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى والتسليم له وإخلاص الأيمان به , كما جاء على لسان مؤسسي الأديان العالمية الكبرى . . . وأن الإسلام هو كنه الأديان السماوية وحقيقتها وليس وراءه إلاَّ الوثنية والشرك))[٣٦] .

ولا يغيب على المتتبع لقصص القرآن الكريم بعدها الإنساني من خلال الإشارة بالاحترام والتقدير والتقديس للديانات السابقة , على الرغم من أن الإسلام يعد خاتم الرسالات السماوية والذي به تم احتواء جميع ما أنزل الله من ديانات سابقة , مع هذا الطرح فإن نصوص القرآن الكريم تؤكد على ضرورة الاعتراف بالأنبياء والرسل السابقين ,

وما جاؤوا به من شرائع , قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣٧] .

لقد جاءت الديانات السماوية جميعاً بدعوة توحيد الله سبحانه وتعالى ابتداءً من آدم (عليه السلام) , وانتهاءً بالرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) , إذ كانت دعوتهم جميعاً واحدة هي توحيد الله وعبادته وحدة , يظهر ذلك في القرآن الكريم من خلال عدد من الآيات , قال جل شأنه : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[٣٨] , وقوله : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[٣٩] , وقوله : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[٤٠] , وقوله : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ﴾[٤١] , وهناك العديد من الآيات التي تبين عقيدة التوحيد الخالص , ووحدة الدين التي جاء بها الرسل جميعاً .

والدعوة في القرآن الكريم إلى الإيمان بالرسل والكتب التي أُنزلت عليهم من صميم الروح الإسلامي , قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٤٢] .

ومما تقدم نستنتج أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل إلى البشرية عن طريق رسله أدياناً عدة إنما نزَّل ديناً واحداً هو الإسلام , إنها وحدة الدين السماوي لا تعدد الأديان[٤٣] , والقرآن الكريم يدعو جميع الديانات باسم الإسلام , قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٤٤] .

ومع أن سائر الديانات غير الإسلام نسخت بنزول القرآن أو أن أخرى ليست على حق , إلاَّ أن الإسلام يقف منها موقف التسامح , ولكن هذا لا يعني أن يعترف الإسلام بأن كل ديانة على حق وعلى قدم المساواة معه , لأن مثل هذا الاعتراف يتعارض مع إعلانه أن الدين عند الله الإسلام[٤٥] , والإيمان بالتعددية في الإسلام يسمح للمسلمين بالالتقاء مع أتباع الديانات الأخرى في كثير من الأمور الدنيوية فيما لا يتصل بالأمور العقدية والتعبدية ,

فيلتقي أتباع الإسلام مع أتباع اليهودية والمسيحية حتى في العلاقات الزوجية , و يتم الالتقاء في مأدبة الطعام ومجالات التعاون والبناء(٤٦) .

لا ريب في أن مقاصد القصص القرآني في مجملها تحقيق غاية إنسانية ولا سيما في الطريقة التي تعامل بها الإسلام من الرسالات السماوية السابقة , ففي قصص القرآن لا نجد موقف تحدي أو جحود , بل نجد الروح الإنسانية هي التي تسيطر على منطق القول , والسبب في ذلك حسب رأينا أن الإسلام جاء استكمالاً لرسائل وشرائع الرسل السابقين , وأن علاقات الود والمحبة والتسامح , مسألة يستلزمها جوهر الرسالة الإسلامية , وأن هذه القيم الإنسانية والدعوة إلى التسامح , والتي لا تقبل شقاقاً وتبتعد عن كل ما يشير إلى الحقد والكراهية(٤٧) , ولتأكيد ما ذهبنا إليه , فإننا نجد في سلوك الرسول محمد (ﷺ) ما يؤكد ذلك , فقد نقل ابن كثير أن الرسول محمد (ﷺ) أكرم وفد نجران النصراني وقام بنفسه بالتجهيزات الضرورية للإكرام هذا الوفد , حتى انه فرش عباءته ليجلسوا عليها(٤٨) .

وتأسيساً على هذه المقولات والمبادئ وقيم المساواة والعدل والسلام والتعايش السلمي , قامت دولة المدينة بقيادة الرسول محمد (ﷺ) لا ترى فيها أي تمييز , تنتظم العلاقات بين سكانها من اليهود والنصارى والمشركين على أساس أن الجميع من المسلمين وغير المسلمين من مواطني المدينة هم أمة واحدة(٤٩) , لكل دينه , من دون محاولة إقصاء أو فرض دين بالقوة .

المبحث الثالث

الصورة الأخلاقية في القصص القرآني .

إن منهج الإسلام في التعامل والحوار أساسه الدعوة بالحسنى , وهذا المنهج قائم على الأخلاق الفاضلة المتمثلة بالرفق والرحمة , ومنهجه بعيداً عن الغلظة والفظاظة , والقرآن الكريم يدعوا إلى التسامح والعفو لأن الأخلاق في الحوار القرآني مبنية على ذلك , قال تعالى : ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٥٠) .

ولأن القصص القرآني غني بالمواعظ والحكم والأصول والتوجيهات الأخلاقية ، والأساليب التربوية ، والاعتبار بالأمم والشعوب ، والقصص القرآني ليس أموراً تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين ، وإنما هي أعلى وأشرف وأفضل من ذلك ؛ فالقصص القرآني مملوء

بالتوحيد ، والعلم ، ومكارم الأخلاق ، والحجج العقلية ، والتبصرة والتذكرة ، والمحاورات العجيبة .

مما لا شك فيه أن ربط الدين بالأخلاق أمر غاية في الأهمية , ذلك أن خلق الإنسان لم يكن عبثاً بل كان لغاية أراد الله بها خلافة الأرض , لذلك فقد خلقه في أحسن تقويم وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه , وقدر له عمراً , فلماذا خلق الإنسان ؟ وما هي رسالته في الحياة ؟ وردت في القرآن الكريم آيات عدة تصرح بالغاية التي من اجلها خلق الإنسان , في مقدمتها ومن أشهرها قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٥١] , وقوله جل جلاله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٥٢] , ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٥٣] . وقوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٥٤] .

تظهر الصورة الأخلاقية في قصص القرآن الكريم من خلال الدعوة إلى الوسطية والاعتدال , من دون غلو أو تطرف , وهذا المبدأ من طبيعة رسالة الإسلام , إذ أنها رسالة فيها رحمة للعالمين , قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٥٥] , والوسطية في الإسلام تعني العدل والمساواة , وهي سمة هذا الدين وشعاره وخاصيته , ولأن الوسطية هي الميزان المستقيم الذي يحدد العلاقات بين الناس في حالة السلم والحرب , لأنها القانون الذي ينتظم به المجتمع الإنساني[٥٦] , ولذلك فإن الجوانب الأخلاقية في قصص القرآن الكريم تحدد هذا المنهج .

ولقد جاء القرآن بقصص تربوية ذات أثر في علاقات الإنسان الخلقية والوجدانية ، ذلك مع جمال الأسلوب وبلاغة المعنى . والقصة القرآنية وسيلة هامة للتعلم والإرشاد والتشريع ، ولها دور فاعل في بناء الفرد والمجتمع ، وتعد من أهم الأساليب المؤثرة في تقويم الأخلاق وتغذية العواطف وغرس القيم السامية والتخلص من القيم المنحرفة والعمل على بترها من المجتمع .

ولما كان الجانب الأخلاقي من بين أهم الأهداف للقصة القرآنية فإننا نجد الدعوة صريحة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها , وهي كذلك تؤدي وظيفة اجتماعية غايتها بناء

سلم للأخلاق الفاضلة , فالقصة القرآنية تحكي حال الرسل والأنبياء السابقين وحال الذين أتبعوهم وكيف نصرهم الله لصبرهم وتمسكهم بعقيدتهم[٥٧] .

لا شك أن القصص القرآني لها هدف وغاية سامية ألا وهي , تثبيت الأخلاق والترغيب فيها ، وذلك بغرس القيم وإرساء دعائم الإسلام وتعاليمه في حسن المعاملة ، كما أن القصص القرآني يعطي صورة عن الأدب الذي يتأدب به الرسل مع ربهم ، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٥٨] .

لقد عرض القرآن الكريم في قصصه لموضوع الأخلاق الحسنة ودعا إليها ودعا إلى التخلي عن الأخلاق السيئة والتحلي بالحسن منها , بأسلوب غير مباشر , حيث أكثر القرآن الكريم من هذا الأسلوب في ثنايا قصصه , فنجد القرآن الكريم بعد أن يذكر قصة من قصص السابقين يعق عليها بطريقة تدعو القارئ إلى الاعتبار والاتعاظ والتركيز على سمو الأخلاق بأسلوب حسن رائع , يهذب فيه النفس البشرية[٥٩] , فمثلاً بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى قصة لوط (عليه السلام) وما حل بقومه من العذاب , نجد قوله تعالى : ((فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل , إن في ذلك لآيات للمتوسمين))[٦٠] , فالمسلم المؤمن بالله هو الذي يعتبر بما حل بقوم لوط , وهو درس في الأخلاق , فلا يفعل فعلهم , ولا يكذب رسولاً , أو يرتكب حراماً , ويسير في فلك الإيمان والصدق والعمل الصالح[٦١] .

وفقاً لما سبق يتبين أن خلق الإنسان كان لمهمة كبيرة وحساسة , ألا وهي خلافة الأرض وتعميرها , وهذه الخلافة بطبيعة الحال , تتطلب سلوكاً وتعامل مع الخلق والمخلوق , ولأن الق رآن الكريم جاء ليبني شخصية الإنسان ويمكنه من تعمير الأرض لذلك اوجب الله عليه أن يسلك المبدأ الإنساني والأخلاقي , من هنا كانت الصورة الإنسانية في قصص القرآن الكريم هي أساليب ودروس يأخذ منها الإنسان العبرة كي يتعلم ما يساعده على سلوك درب الخير والفضيلة واحترام الآخر, وهذا الآخر لا يقتصر على الإنسان , بل يمتد ليشمل الحيوان والطبيعة والبيئة التي يعيش عليه , هذا هو الأساس الذي بني عليه المنهج القصصي في القرآن الكريم , ونحن نعتقد هنا أن من أهم ما يجب ملاحظته في قصص القرآن الكريم هي تربية الفرد على حسن التعامل , لأن في القصص عبرة وعظة أراد الله من خلالها أن

يضرب الأمثال للإنسان كي يتعلم , وبما أن القصة والمثل هي وسيلة تعلميه تربوية ناجحة , وأن العقل الإنساني يتقبل ذلك أكثر من الكلام المرسل , قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٢) .

إن وجود القصة في القرآن الكريم لها دلالات وأهداف فهي ليست مجرد سرد لما وقع للأقوام السابقة من أحداث , وإنما تبعث القصة الحياة في هذه الأحداث فيتكشف ما وراءها من عبر وعظات , وتظهر قوى الخير في صراعها ضد قوى الشر , ولا يعني ارتكاز القصة حول هذه الموضوعات انعدام الجانب الفني فيه(٦٣) , ((بل أن القصة القرآنية تعتبر قمة في الجمال الفني الذي لا يبعدها عن هدفها الأخلاقي , والقصة القرآنية برغم قلة الألفاظ المستخدمة في أدائها , فإنها حافلة بكل أنواع التعبير والعناصر الفنية من حوار إلى سرد , إلى تناغم إيقاعي , غلى دقة في رسم الملامح))(٦٤) .

وفي هذا الإطار يجب النظر إلى ما يقدمه القرآن الكريم من أطروحات في القصص الواردة حول الحوار وما يحويه من قيم متعددة , على أن نقطة البدء التي ينطلق منها القرآن الكريم تنصب بوجه خاص على الشق الأخلاقي وهذا ماثل في عدد من قصص القرآن الكريم , ولو كان الأمر يتعلق بضرب الأمثال بشخصية الرسول محمد (ﷺ) مع تأكيدنا أن الرسول كان مضرب الأمثال في التواضع والبساطة والخلق القويم , قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٦٥) , ومع كل هذه الصفات الحميدة في شخصية الرسول محمد (ﷺ) فإن القرآن الكريم يتعرض إلى مسألة الحوار , وكيف يجب أن يكون عندما يعاتب الرسول محمد (ﷺ) لما تجاهل الرجل الأعمى الذي حضر مجلسه ليتعلم أركان الدين , قال تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ (٦٦) .

لقد انطلق أصحاب الرسول محمد (ﷺ) يحملون لواء الدعوة متسلحين بفكر القرآن الأخلاقي , ومجاهدين به , قال تعالى : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[٦٧] , داعين إلى الإسلام ومكارم الأخلاق والتي فيها قواعد العدل والإحسان والنظام , مستهدفين بذلك أن يفتح الله على أيديهم قلوباً غلقاً وأعيناً عمياً وآذاناً صما[٦٨] , وبهذه الروح الإنسانية , والنفسية الطاهرة العفيفة انتشرت الدعوة حتى اتسعت رقعة الإسلام وتكونت دولة أساسها الأخلاق الفاضلة .

إن هذا التوجيه للرسول محمد (ﷺ) يعد أمراً عظيماً جداً , وغاية في الأهمية لما ينطوي عليه من قيم أخلاقية , وهو يؤكد إن الميزان الذي يجب أن يقوم على أساسه الفرد في المجتمع الإسلامي , هو: ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم))[٦٩] . هنا تتجلى المبادئ الإنسانية والأخلاقية بأوضح صورة _ رحمة _ وللجميع دون النظر إلى اللون أو الجنس أو القومية , أو الملكية المالية وجميع الصفات الاعتبارية الأخرى .

الخاتمة

لقد انتهينا من هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي تؤكد أهمية القصص القرآني لتربية الفرد وبناء المجتمع على أسس من القيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة وهي الآتي :-

أولاً:- إن أيدلوجية الإسلام في بناء المجتمع تتضمن تحقيق سعادة الإنسان وفق المنظور القرآني وهذا يتطلب ترسيخ القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية والابتعاد عن الظلم والبغي والعدوان , فالمسلم إنسان هذبته أخلاق الإسلام وجملته قيمه الإنسانية , ووضحت طريقه المفاهيم والعبر والمعاني التي جل غايتها تحقيق سعادته , والقصص القرآني واضح كل الوضوح في هذا المضمار , فجل ما ورد من قصص فيه , كانت لأجل التفكر والعبرة من أجل رسم صورة واضحة أمام الإنسان للأخذ منها ما يوضح له السبيل في التعامل مع أبناء جنسه .

ثانياً:- انعقد مجمل القصص القرآني على تأكيد الجوانب الإنسانية والأخلاقية , وقد تميزت معالجات القرآن الكريم لهذين المقصدين بالشمولية والإيضاح والتوكيد وذلك لما لهما من أثر نافع في حياة الفرد والمجتمع , لأنه متى ما أدرك أبناء المجتمع –أي مجتمع- أهمية الالتزام بروح الإنسانية التي دعا الله إليها فإن المجتمع سائر إلى الخير والفلاح والسعادة , أما القيم الأخلاقية فهي الأخرى تشكل معلماً بارزا من سمات المجتمع الفاضل , لأن

التمسك بالأخلاق الحسنة سترفع من شأن الفرد والجماعة , ومن ثم صلاح المجتمع وتطوره , وعلى هذا المنوال نجد قصص القرآن الكريم تشتمل الدعوة إلى التعامل بروح من الإنسانية والقيم الأخلاقية .

ثالثاً:- في قصص القرآن الكريم ملامح كثيرة فيها الدعوة ظاهرة لبناء مجتمع مسالم , ينشد أفراده الأمن والاستقرار , ولأن القصة ضرب من ضروب الأدب , يصغي إليها السمع , وتصبح عبرة في الأنفس , من هنا , يمكن أن نعد الحوار في القصص القرآنية وسيلة دعوية وأسلوب لترسيخ المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية من أجل تعريف الآخر بما يغيب عنه , أو يلتبس عليه والقرآن الكريم في قصصه يحث على فعل الخير ونبذ الشر والابتعاد عنه , وهو من خلال قصصه يلزم أفراده بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , لأن الخير إذا وجد من يأمر به ويحث على فعله ساد وعمّ , وأدى واجبه كاملاً في سبيل السلام , والشر إذا وجد من يقاومه وينكر على مرتكبه , ويدعوه على تركه والتخلص منه , سكن وهدأ , وأراح المجتمع من كوارثه وفواجعه .

رابعاً:- إن القصة هي إحدى الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لتثبيت القيم الإنسانية وهي كذلك فيها عبرة للتمسك بالأخلاق الكريمة , لأن فيها من التشويق والأساليب المؤثرة مما يجعلها طريقة لهداية الناس , وإصلاحهم , ولأن للقصة , عموماً , وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص وظيفة تربوية إنسانية أخلاقية لا يحققها لون آخر من ألوان وأساليب السرد الأدبي . ذلك أنّ القصة القرآنية تمتاز بمميزات جعل لها أثر في النفوس , قد تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه , وتجديد أفكاره , وبناء روحه .

خامساً:- إن وجود القصة في القرآن الكريم لها دلالات وأهداف فهي ليست مجرد سرد لما وقع للأقوام السابقة من أحداث , وإنما تبعث القصة الحياة في هذه الأحداث فيتكشف ما وراءها من عبر وعظات , وتظهر قوى الخير في صراعها ضد قوى الشر .

سادساً:- نفهم من قصص القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أراد بها أن يتعلم الناس ويأخذوا الدرس والعبرة , ويتأدبوا , ولأن القصة , عموماً , وسيلة إصلاح أخلاقي تثقيفي في آن معاً , لذلك كانت قصص القرآن الكريم ذات أهمية اجتماعية سياسية تاريخية , وهي كذلك تمتاز بالسلاسة والبساطة والحبكة الفنية والجمال اللغوي .

سابعاً:- إن قصص القرآن الكريم إنما وجدت لتأصيل قيم وتثبيت مبادئ , ومن ثم نجد أن أحكام الفقه الإسلامي قامت على التواصل والتعارف والتعاون على البر والتقوى , لهذا فإن قصص القرآن الكريم لها غاية وهدف , ولم تكن لمجرد الذكرى أو العبرة أو التسلية , لذلك وجب على الدارسين والمفسرين للقرآن الكريم أن يجعلوا هذه الأسباب في حسابهم ويكون الدرس والتفسير منطلقه وهدفه تثبيت هذه الأصول .

ثامناً :- لقد آن الأوان لنا نحن المسلمون أن نتدبر القرآن الكريم ونأخذ منه العظة والعبرة , بل نقتبس , وننشر , ونظهر للناس من المسلمين وغير المسلمين , إننا نمتلك كتاب دستور يحوي بين ثناياه الكثير الكثير مما يصلح البلاد والعباد , وقد حان الوقت لبيان ذلك , لأن بلاد المسلمين تعاني من الكوارث والويلات , إذ أن التطرف والغلو والتكفير والقتل والترويع والتهجير قد أصبح سمة في عدد من البلدان الإسلامية , والقرآن الكريم فيه الحلول والترتيبات المناسبة لهذه المشكلات , لذلك وجب الالتزام به , فهو طوق النجاة للناس أجمعين , ومما يجب التأكيد عليه هنا ! أن الدعوات التي ما أنفك عدد من المسلمين يروج لها للاقتباس من الغرب لا سيما في ما يخص حقوق الإنسان , والمبادئ الإنسانية , والقيم الأخلاقية , يمكن العثور عليها وبصورة ناصعة في سور القرآن الكريم وقصصه , وعند ذاك نجد الحل المناسب لأزماتنا بطريقة أسهل وتناسب أوضاعنا , نحن المسلمون .

هوامش البحث

١- سورة الإسراء , آية : ٩ .

٢- سورة يونس , آية : ٢٥ .

٣- سورة النحل , آية : ١٢٥

٤- سورة العنكبوت , آية : ٤٦.

٥- ابن تيمية , تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم : مجموعة فتاوي أبن تيمية , تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم , مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف , (الرياض/١٩٩٥م) , ج١٩ , ١٦٤ .

٦- صالح بن عبدالله بن حميد : أصول الحوار وآدابه في الإسلام , دار المنار للنشر والتوزيع , ط١ , (جدة/١٩٩٤م) , ص١٨-١٩ .

٧- سورة البقرة , آية : ٢٨٦ .
٨- سورة طه , آية : ١٣-١٤ .
٩- سورة يس , آية : ١٤ .
١٠- سورة يس , آية : ١٦-١٧ .
١١- سورة البقرة , آية : ٢١٣ .
١٢- سورة الحجرات , آية : ١١ .
١٣- الله والإنسان , دار الفكر العربي , ط٢, (القاهرة / ١٩٧١م) , ص١٣ .
١٤- سورة الإسراء , آية : ٧٠ .
١٥- محمد شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة , دار الشروق , ط٦ , (القاهرة/١٩٧٣م) , ص٤٧٢ .
١٦- محمد شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة , ص٤٧٢ .
١٧- سورة إبراهيم , آية : ٣٢- ٣٤ .
١٨- سورة إبراهيم , آية : ١ .
١٩- سعيد عبد خضر يوسف الجوعاني : الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم , سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة , ط١, (بغداد / ٢٠٠٩م) , ص١٧ .
٢٠- سيد قطب : في ظلال القرآن , دار إحياء التراث , ط٥ , (بيروت / ١٩٦٧م) ج١ , ص٤٨٧ .
٢١- سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , دار الشروق , ط٦ , (القاهرة / ٢٠٠٦م) , ص٣٦٩ .
٢٢- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , دار الثقافة , ط٣ , (بيروت / ١٩٧٥م) , ص٢٦٤ .
٢٣- سورة الأحزاب , آية ٤٠ .
٢٤- سورحمن هدايات : التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم , دار السلام للطباعة , ط١ , (القاهرة/٢٠٠١م) , ص١٦ .
٢٥- سورة المائدة , آية : ١٥ .
٢٦- سورة المائدة , آية : ٢ .
٢٧- محمد قطب : معركة التقاليد , دار إحياء التراث العربي , (بيروت/١٩٨٣م) , ص١٣٢ .
٢٨- سورة الحجر , آية : ٢٩ .
٢٩- سورة الروم , آية : ٣٠ .
٣٠- البخاري , محمد بن إسماعيل أبو عبدالله : صحيح البخاري , تحقيق : مصطفى ديب البنا , دار ابن كثير , ط٣ , (بيروت/١٩٨٧م) , ج١ , ص٤٦٥ .
٣١- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , دار الثقافة , ط٣ , (بيروت/١٩٧٥م) , ص١٨١ .

٣٢- سورة الاسراء , آية : ٧٠ .
٣٣- راغب السرجاني : المشترك الإنساني , مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع , ط١,(دمشق/٢٠١١م) , ص٤٣-٤٤ .
٣٤- احمد شلبي : مقارنة الأديان , مكتبة النهضة المصرية , ط٣, (القاهرة / ١٩٦٧م) , ص١٦٢ .
٣٥- هاشم الدفتردار المدني ومحمد علي الزعبي : الإسلام بين السنة والشيعة , ص ٦٠.
٣٦- هاشم الدفتردار المدني ومحمد علي الزعبي : الإسلام بين السنة والشيعة , ص٦٢ .
٣٧- سورة البقرة , آية ٣-٤ .
٣٨- سورة هود , آية : ٥٠ .
٣٩- سورة هود , آية : ٦١ .
٤٠- سورة هود , آية : ٨٤ .
٤١- سورة العنكبوت , آية : ١٦ .
٤٢- سورة النساء , آية : ١٣٦ .
٤٣- سورحمن هدايات : التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم , ص٥١ .
٤٤- سورة آل عمران , آية : ٦٤ .
٤٥- سورحمن هدايات : التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم , ص٦٥ .
٤٦- سورحمن هدايات : التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم , ص٦٥ .
٤٧- أسعد السمحراني : التطرف والمتطرفون , دار النفائس , ط١ , (بيروت/١٩٩٩م) , ص١٠٧ .
٤٨- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر : السيرة النبوية , مكتبة الدعوة , (القاهرة/ د.ت) ,ج٣, ص٢٥ .
٤٩- محمد شريف أحمد : دروس في الانفتاح على الرأي الآخر , منشورات منتدى الفكر الإسلامي , ط ١, (اربيل/٢٠١٣م) , ص٧٨ .
٥٠- سورة المائدة , من الآية ١٣ .
٥١- سورة الذاريات , آية : ٥٦ .
٥٢- سورة البقرة , آية : ٣٠ .
٥٣- سورة الأنعام , آية : ١٦٥ .
٥٤- سورة الملك , آية : ٢ .
٥٥- سورة الأنبياء , آية : ١٠٧ .

٥٦- محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام , دار الفكر العربي , (القاهرة/د.ت) , ص٣٥ .
٥٧- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم , مكتبة الأنجلو المصرية ,ط٤, (القاهرة/١٩٧٢م) , ص٢١٢ .
٥٨- سورة الأعراف , آية ١٤٤ .
٥٩- عبد الرحمن داود جميل : منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق , رسالة ماجستير غير منشورة , مقدمة إلى كلية أصول الدين , جامعة النجاح , (نابلس/٢٠١٠م) , ص٢١ .
٦٠- سورة الحجرات , آية : ٧٣-٧٥ .
٦١- عبد الرحمن داود جميل : منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق , ص٢٢ .
٦٢- سورة يوسف , آية : ١١١ .
٦٣- جار الله سليمان الخطيب : قصص القرآن الكريم , (الرياض/١٣٩٣هـ) , ص٧-٨ .
٦٤- أحمد جمال العمري : دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني , مكتبة الخانجي , ط١ , (القاهرة/١٩٨٦م) , ص٢٩١ .
٦٥- سورة , آية :
٦٦- سورة عبس , الآية ١- ١٤ .
٦٧- سورة الفرقان , آية ٥٢ .
٦٨- عطية صقر : الدين العالمي , المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية , ط٣ , (القاهرة/٢٠١٣م) , ص٦٥ .
٦٩- سورة الحجرات , آية : ١٣ .

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم :

أولاً: المصادر:

٦٩- ابن تيمية , تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم:مجموعة فتاوي أبن تيمية , تحقيق:عبد الرحمن بن محمد بن قاسم , مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف , (الرياض/١٩٩٥م) .
٢- البخاري , محمد بن إسماعيل أبو عبدالله : صحيح البخاري , تحقيق : مصطفى ديب ألبنا , دار ابن كثير , ط٣ , (بيروت/١٩٨٧م) .
٣- أبو الفداء , عماد الدين إسماعيل بن عمر: السيرة النبوية , مكتبة الدعوة ,(القاهرة/ د.ت) .

ثانياً:ـ المراجع .

١- أحمد جمال العمري : دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني , مكتبة الخانجي , ط١ , (القاهرة/١٩٨٦م) .
٢- احمد شلبي : مقارنة الأديان , مكتبة النهضة المصرية , ط٣, (القاهرة / ١٩٦٧م) .
٣- أسعد السمحراني : التطرف والمتطرفون , دار النفائس , ط١ , (بيروت/١٩٩٩م) .
٤- جار الله سليمان الخطيب : قصص القرآن الكريم , (الرياض/١٣٩٣هـ) .
٥- سعيد عبد خضر يوسف الجوعاني : الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم , سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة , ط١, (بغداد / ٢٠٠٩م) .
٦- سورحمن هدايات : التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم , دار السلام للطباعة ,ط١, (القاهرة/٢٠٠١م) .
٧- سيد قطب : في ظلال القرآن , دار إحياء التراث , ط٥ , (بيروت / ١٩٦٧م) .
٨- سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , دار الشروق , ط٦ , (القاهرة / ٢٠٠٦م) . ٩- صالح بن عبدالله بن حميد : أصول الحوار وآدابه في الإسلام , دار المنار للنشر والتوزيع , ط١ , (جدة/١٩٩٤م) .
١٠- راغب السرجاني: المشترك الإنساني,مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع , ط١,(دمشق/٢٠١١م) .
١١- عبد الرحمن داود جميل : منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق , رسالة ماجستير غير منشورة , مقدمة إلى كلية أصول الدين , جامعة النجاح , (نابلس/٢٠١٠م) .
١٢- عبد الكريم الخطيب : الله والإنسان , دار الفكر العربي , ط٢, (القاهرة / ١٩٧١م) .
١٣-عطية صقر: الدين العالمي , المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, ط٣, (القاهرة/٢٠١٣م) .
١٤- محمد أبو زهرة : العلاقات الدولية في الإسلام , دار الفكر العربي , (القاهرة/د.ت) .
١٥- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم , مكتبة الأنجلو المصرية ,ط٤, (القاهرة/١٩٧٢م) .
١٦- محمد شريف أحمد : دروس في الانفتاح على الرأي الآخر , منشورات منتدى الفكر الإسلامي , ط١, (اربيل/٢٠١٣م) .
١٧- محمد شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة , دار الشروق , ط٦,(القاهرة/١٩٧٣م) .
١٨- محمد قطب : معركة التقاليد , دار إحياء التراث العربي , (بيروت/١٩٨٣م) .
١٩- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , دار الثقافة , ط٣, (بيروت/١٩٧٥م) .